

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أبي ذرٌ رضي الله عنه -: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، وَحَدِيثٌ: لَا تَحْقِرْنَ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيئًا

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فمن الأحاديث الدالة على كثرة طرق الخير، وأن من أراد أن يصل إلى الله -تبارك وتعالى- فإنه يجد أبواباً مشروعة، وليس الطريق إليه محصوراً في باب قد يعجز عنه الإنسان، كالصدقة، فقد يكون ليس له مال، أو يكون ذلك بالصيام، وقد لا يطيقه، وإنما هناك أبواب وأبواب.

فقد جاء في حديث أبي ذرٌ رضي الله عنه -: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُؤُلَاءِ النَّاسُ هُمْ مِنَ الْفَقَرَاءِ، وَهُمْ أَهْلُ الصَّفَةِ، الَّذِينَ كَانُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ لِرَبِّهِمْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا إِزارًا دُونَ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ رَدَاءُ، مَا يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا شَيئًا، تَرَكَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَعَشِيرَتَهُ وَقَوْمَهُ -تَبارَكَ وَتَعَالَى-، فَكَانُوا يَعِيشُونَ فِي سَقِيفَةٍ فِي مُؤْخَرَةِ الْمَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ مَتَى يَسْمَعُونَ مِنْادِيَ الْجَهَادِ، فَيَتَسَارُ عَوْنَ مُلْبِينَ دُعَاءَهُ وَنَدَاءَهُ.

يقول: قالوا: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، والمقصود بالدثور أي: الأموال، فدثور جمع بذر، أي: مال، والمعنى: ذهب أهل الأموال بالأجور، فهو لاء فقراء ليس عندهم شيء.

قال: يصلون كما نصل، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، هؤلاء من الأغنياء من الصحابة -رضي الله عنهم- يسارعون في الخيرات، فهم يصلون وينذرون الله -عز وجل- ويقرعون القرآن، ويقومون بألوان العبادات البدنية، ويفضلون علينا ويزيدون بالعبادات المالية التي نعجز عنها، فقد زادوا علينا في هذا العمل، يتصدقون بفضول أموالهم، يعني: الأموال الفاضلة عن كفايتهم.

قال: ((أَوْلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصْدِقُونَ بِهِ؟...))، عَلَّمَهُمْ صَدَقَاتٍ بِغَيْرِ الْأَمْوَالِ، ((إِنْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةِ صَدَقَةٍ، كُلَّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، كُلَّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ...))^(١) إلى آخر ما ذكر، لو أن الإنسان يؤمن بهذه الأشياء ويستيقنها حقيقة فكم سيجمع من الصدقات، وكم سيشغل الأنفاس وهو ينتظر، وهو في سيارته، وهو يمشي، وهو على فراشه، سبحانه الله، والحمد لله، ولا إلا لله، صدقات، ولا يخسر شيئاً.

والذكر كما ذكرنا سابقاً عبادة خفيفة على اللسان كما صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- تقيلة في الميزان، فمن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((كلمات خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده))^(٢).

^١- أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (٦٩٧/٢)، رقم: (١٠٠٦).

^٢- أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، (٨٦/٨)، رقم: (٦٤٠٦).

قال سبارك وتعالى:-: **{فَادْكُرُوا اللّٰهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلٰى جُنُوبِكُمْ}** [النساء: ١٠٣]، فلا تحتاج أن تكون في المسجد، ولا أن تذهب إلى مكان معين للذكر، ولا يشترط أن تكون متوضئاً، ولا مستقبلاً للقبلة، ولا في حال الصلاة، ولا في وقت محدد، وإنما في كل وقت، وليس في الذكر وقت نهي، فهو مشروع في جميع الأوقات، وفي جميع الحالات، وأنت تمشي، وأنت تصنع، وأنت تنتظر أحداً من الناس، تنتظر مكالمة، تنتظر في مستشفى، وأنت واقف، تسبح، بهذه صدقات، سبحان الله صدقة، الحمد لله صدقة، فلو كنا نستيقنها لما فترت ألسنتنا.

أنا رأيت رجلاً في هذا العصر، ولا زال حياً، يزيد عمره على المائة، كأنه فرخ، في المسجد من بعد صلاة الظهر إلى بعد صلاة العشاء، من أراده جاء إليه في المسجد وسلم عليه، كيف حالك يا أبا فلان، قال: الحمد لله، كيف حالكم أنتم؟، إلى أن ينطر مني الجواب يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإذا قلت له: طيبون والحمد لله، أراد أن يسأل سؤالاً ثانياً حتى ينطر الجواب مني، يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ما يترك لحظة، حتى الفترة التي تكون بين السؤال والجواب يسبح وينظر الله -عز وجل-، هذا رأيته عمره فوق المائة، بحال من الصلاح والعبادة والخير، ومحتب، مؤذن في المسجد، حسبة الله -عز وجل-، وهم الذين بنوا المسجد، وربى أولاده أحسن تربية، ونفع الله بهم غاية النفع، ولا ترى الرجل إلا حامداً، ذاكراً، لا تراه متبرماً مع ما يقع له من الأوجاع والأمراض، ومع ذلك لا تراه إلا حامداً متبسمـاً، والرجل في حال لا يكاد يبصـر، وليس له قائد، ويذهب لوحده إلى المسجد، ويرجع لوحده، ويقطع الطريق، ومع ذلك هو بهذه الحال، هذه هي الغنية، وهذه هي الغبطة، لا تضيع الأوقات في القيل والقال ومشاهدة الفنوات والنوم، وهذا مكالمة، وهنا حديث، فيضيـع على الإنسان النهار، كما يضيـع عليه الليل، وإذا نظر كـم مرة سـبح؟، كـم مرة ذـكر الله -عز وجل-؟، كـم جـزءاً فـرأـ من القرآن؟، يـجد أنه لا يـكـاد يكون قد أـنجـزـ وأـمضـىـ شيئاً يـذـكـرـ، ويـمضيـ العمرـ بهذهـ الطـرـيقـةـ، وـالـعـبـرـةـ بـالـنـتـائـجـ، وـمـاـ يـحـصـلـهـ إـلـاـ إـنـ يـسـتـ العـبـرـةـ بـالـأـمـانـيـ، وـالـعـمـرـ يـنـقـضـيـ بـالـأـمـانـيـ، إـلـاـ إـنـ يـسـتـ العـبـرـةـ بـالـأـمـانـيـ، وـالـعـمـرـ يـنـقـضـيـ بـالـأـمـانـيـ، إـلـاـ إـنـ يـقـولـ: سبحانـ اللهـ، وـالـحـمـدـ لـلـهـ، وـلـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ، إـلـاـ إـنـ يـسـمـعـكـ النـاسـ، لـكـ تـقـولـ ذـكـرـ فـيـ سـرـكـ، وـالـهـ -ـعـزـ وـجـلـ- يـسـمـعـكـ.

لو حسبنا الأوقات ونحن في طريق السيارة ذهاباً ومجيئاً، يمضي وقت ليس بسهل، تمضي لربما ساعة أو أكثر على الإنسان متوسط المشواوير، كم مرة يستطيع أن يسبح فيها ويدرك الله -عز وجل-؟.

فأقول: هؤلاء علمهم النبي -صلى الله عليه وسلم- الصدقات، قال: ((وفي بعض أحدكم صدقة))، البعض المقصود به الفرج، يعني: في الجماع صدقة، قالوا: يا رسول الله، هم ما استغربوا من التسبيح والتحميد أنه صدقة.

قالوا: يا رسول الله، أيأني أحDNA شهوته ويكون له فيها أجر؟، يعني: المعاشرة والجماع من أعظم حظوظ النفس؛ لأنها من أقوى الغرائز، ويجد الإنسان فيها لذة لا يجدها لا في الطعام، ولا في الشراب، ولا في غيره، ومع ذلك يؤجر.

ولاحظوا هنا أنه لم يقل: إذا احتسبه، وإنما أطلقه، فدل على أن بعض الأعمال يؤجر عليها الإنسان حتى لو لم يحتسب، وقد أشرنا إلى هذا في بعض الدروس، مثل المرأة البغي التي سقت الكلب، وهي من بغايابني إسرائيل لم تتحسب، ((وَغَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا))^(٣).

وكذلك قال -صلى الله عليه وسلم-: ((تکف شرك عن الناس..))^(٤)، فلم يذكر الاحتساب، قال: ((صدقة منك على نفسك، تعين صانعاً أو تصنع لأخرق))، لم يقل: تحسب، ومع ذلك تؤجر عليه. أما إذا كان قصد الإنسان فاسداً، قصده الرياء، أو السمعة، أو التوصل إلى أمر محرم، يساعد هذا الإنسان من أجل أمر آخر لا يجوز، وهذه قضية أخرى.

فالملخص أنك إذا أردت إعطاء صدقة، فالروايات تختلف في ذلك، فالراجح أن الصدقة لا يحصل بها أجر، ولو وضعها في حرام أكان عليه وزر)، أي: ذنب وإنما ((ف كذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر))، رواه مسلم.

وهذا الحديث من أعظم الأحاديث في بيان كثرة طرق الخير، حتى ما يتعلق بحظ النفس، بحيث إن الإنسان يعف نفسه عن الحرام، ويلجأ إلى الحلال، وكذلك في الأعمال الدنيوية فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: مر بهم رجل فتعجبوا من خلقه فقالوا: لو كان هذا في سبيل الله، فأتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى أَبْوَيْهِ شِيخِيْنِ كَبِيرِيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِ صَغَارٍ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيَغْنِيَهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))^(٥)، ولم يقل يتحسب، فدل ذلك على أن الإنسان حتى في الأعمال الدنيوية يؤجر في الكسب، إلا إذا كان ذلك على سبيل التكثير، وهذا لا يؤجر عليه، فإن أخذه من حلال، وأدى حكم الله -عز وجل- فيه فحسبه أنه لا يأثم، لكنه لا يؤجر على التوسيع، لكن في القدر الذي يكون فيه كفايته، ويعينه عن الحاجة إلى الناس، هذا يؤجر عليه الإنسان، ولو لم يتحسب، فإن احتسب كان ذلك أعظم في أجره وثوابه عند الله -بارك وتعالى.

المرأة في المطبخ تؤجر على العمل لقيامها على شئون زوجها وأولادها، وهذا من الإحسان المتعدى الذي يؤجر عليه الإنسان، ولكن هل تؤجر على التوسيع والتلفن والتألق في الأطعمة، والإسراف وقضاء الأوقات وشغل النفس بمثل هذا، قد لا تؤجر عليه، لكن تؤجر على القيام بالمعروف، بشئون بيتها وزوجها في كنس الدار، وصنع الطعام، وإعداد البيت وتهيئته وما أشبه ذلك من تربية الأولاد، هذا كله من الإحسان المتعدى الذي يؤجر عليه الإنسان، إذا قدم معروفاً، إذا دل إنساناً على الطريق أو نحو هذا، كل هذا مما يثاب عليه العبد.

^٣- أخرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، (١١/٣)، رقم: (٢٣٦٣)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، (٤/١٧٦١)، رقم: (٢٢٤٤).

^٤- أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأفعال، (١/٨٩)، رقم: (٨٤).

^٥- أخرجه البيهقي في السنن، كتاب النفقات، باب نفقة الأبوين، (٧/٧٨٧)، رقم: (١٥٧٤٢).

وأيضاً ذكر بعده حديث أبي ذر رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((لا تحرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق))^(٦)، فأي عمل تعمله من المعروف تستطيع أن تقدمه أفعـلـ، ولا تقلـ: هذا عمل ضئيلـ، هذا عمل مـا عـسى أن يـؤثـرـ؟، "لو أن تلقـى أخاك بـوجه طـلقـ"ـ، يعنيـ: بـ بشـاشـة وـ حـسـنـ استـقبـالـ وـ ابـتسـامـةـ وـ ماـ أـشـبـهـ ذـلـكـ، فـهـذاـ تـؤـجرـ عـلـيـهـ، معـ أنهـ لاـ يـأخذـ مـنـكـ أيـ تـكـالـيفـ أـبـداـ، فلاـ يـحـتـاجـ أـنـ تـقـضـيـ وقتـاـ مـعـهـ، وـتـذـهـبـ مـعـهـ إـلـىـ قـضـاءـ حاجـتـهـ، أوـ تعـطـيهـ مـاـ لـأـ أوـ نـحـوـ ذـلـكـ، إـذـاـ لـقـيـتـهـ وـسـلـمـتـ عـلـيـهـ فـتـؤـجرـ، تـبـتـسـمـ فيـ وـجـهـهـ تـؤـجرـ، فـهـذاـ لـاـ يـكـلـفـنـاـ شـيـئـاـ، لـكـنـ الـمـشـكـلـةـ أـيـهاـ الـأـحـبـةـ فيـ هـذـهـ النـفـسـ تـشـدـنـاـ، وـأـحـيـاـنـاـ الـإـنـسـانـ يـتـرـدـدـ يـرـفـعـ يـدـهـ أـوـ لـاـ وـهـ يـمـشـيـ فـيـ الطـرـيقـ يـسـلـمـ عـلـىـ وـاحـدـ مـارـ لـاـ يـعـرـفـهـ، يـتـرـدـدـ يـرـفـعـهـ أـوـ لـاـ، وـأـحـيـاـنـاـ يـرـفـعـهـ رـبـعـ رـفـعـهـ، يـضـيقـ صـدـرـهـ، يـبـخـلـ عـلـىـ نـفـسـهـ بـالـمـعـرـوفـ وـالـخـيـرـ، فـالـنـفـسـ تـحـتـاجـ إـلـىـ مـجـاهـدـةـ، النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمــ يـقـولـ: ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاً أذلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببـتـ؟ أـفـشـواـ السـلـامـ بـيـنـكـمـ))^(٧)ـ، مـاـذـاـ يـضـرـكـ أـنـ تـسـلـمـ إـذـاـ مـرـتـ عـلـىـ مـنـ تـعـرـفـ، وـمـنـ لـمـ تـعـرـفـ؟ـ

مـاـذـاـ يـضـرـكـ أـنـ تـبـتـسـمـ بـدـلـاـ مـنـ أـنـ تـكـشـرـ؟ـ، إـذـاـ دـخـلـ الـإـنـسـانـ بـيـتـهـ يـسـلـمـ، يـدـاعـبـ، يـبـتـسـمـ، يـدـخـلـ السـرـورـ عـلـىـ أـهـلـهـ، لـاـ يـكـلـفـهـ هـذـاـ شـيـئـاـ، مـاـ قـالـوـاـ لـكـ: اـشـتـرـ لـنـاـ أـطـبـاقـاـ، اـشـتـرـ لـنـاـ كـذـاـ، ابـتسـامـةـ فـقـطـ، كـلـمـةـ طـيـبـةـ.

فـأـقـولـ: النـفـسـ تـحـتـاجـ إـلـىـ مـجـاهـدـةـ، وـمـاـ يـوـجـدـ شـيـءـ إـلـاـ بـالـمـجـاهـدـةـ، وـلـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـنـزـلـ الـأـخـلـاقـ وـالـأـعـمـالـ الـطـيـبـةـ عـلـىـ الـإـنـسـانـ وـتـدـخـلـ فـيـ قـلـبـهـ، ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ تـبـعـثـ مـنـ جـوارـهـ، أـبـداــ.

وـلـاـ يـسـمـوـ مـنـ يـسـمـوـ بـالـحـلـمـ أوـ الـعـلـمـ أوـ الـكـرـمـ أوـ الـأـخـلـاقـ أوـ الـبـذـلـ، أوـ قـيـامـ اللـيـلـ أوـ صـيـامـ النـهـارـ أوـ الـكـلـامـ الـطـيـبـ أوـ غـيـرـ هـذـاـ إـلـاـ بـالـمـجـاهـدـةـ، حـتـىـ الـكـلـمـاتـ الـطـيـبـةـ تـحـتـاجـ إـلـىـ مـجـاهـدـةـ.

بعـضـ النـاسـ يـقـولـ: مـاـ تـعـودـتـ أـنـ أـقـولـ لـأـبـيـ أوـ لـأـمـيـ كـلـمـاتـ طـيـبـةـ، أوـ أـقـبـلـ يـدـهـ، يـسـتـغـرـبـ، مـاـ تـعـودـ مـنـيـ هـذـاـ الـكـلـامـ، تـعـودـ مـعـاـلـمـةـ رـسـمـيـةـ، أـينـ رـحـتـ؟ـ وـمـنـ أـنـتـيـ؟ـ وـهـاتـ الشـيـءـ الـفـلـانـيـ، دـخـلـ الشـيـءـ الـفـلـانـيـ فـقـطـ، لـمـ يـتـعـودـ أـنـ يـجـلـسـ مـعـهـ، وـيـلـاطـفـهـ، نـقـولـ: مـاـ شـاءـ اللهـ، مـاـ هـذـاـ إـلـصـارـارـ عـلـىـ هـذـهـ الـجـلـافـةـ، وـعـلـىـ الـعـقـوقـ لـلـوـالـدـيـنـ؟ـ، هـذـاـ شـيـءـ تـتـمـدـحـ بـهـ تـقـولـ: مـاـ تـعـودـ مـنـيـ!ـ، إـصـرارـ عـلـىـ الـعـقـوقـ، إـصـرارـ عـلـىـ الـجـفـوـةـ، إـصـرارـ عـلـىـ الـقـسـوـةـ، إـصـرارـ عـلـىـ الـفـظـاظـةـ، غـيـرـ هـذـهـ الـأـخـلـاقـ، حـتـىـ لـاـ يـعـتـادـ مـنـكـ إـلـاـ الـبـرـ وـالـإـحـسـانـ وـالـكـلـمـاتـ الـطـيـبـةـ، فـيـسـتـغـرـبـ مـنـكـ إـذـاـ جـئـتـ فـيـ يـوـمـ وـقـدـ تـرـكـتـ شـيـئـاـ مـنـ هـذـهـ الـعـادـاتـ الـجـيـدةـ، فـيـقـالـ: فـلـانـ مـاـ بـالـهـ الـيـوـمـ؟ـ، لـكـنـ لـلـأـسـفـ الـذـيـ تـعـودـ مـنـهـ الـفـظـاظـةـ إـذـاـ جـاءـ يـلـاطـفـ فـيـ يـوـمـ مـنـ الـأـيـامـ يـقـالـ لـهـ: مـاـذـاـ تـرـيدـ الـيـوـمـ بـهـذـهـ الـلـطـافـةـ؟ـ، لـأـنـهـ لـمـ يـتـعـودـ مـنـهـ الـلـطـفـ.

وـبـعـضـ النـاسـ يـقـولـ: لـاـ أـسـتـطـيعـ، أـحـرـجـ، أـسـتـحـيـ أـنـ أـقـبـلـ رـأـسـ أـبـيـ أوـ أـمـيـ أوـ جـدـتـيـ أوـ نـحـوـ هـذـاـ، نـقـولـ: مـاـ شـاءـ اللهـ عـلـىـ هـذـاـ الـبـرـ وـهـذـهـ الـتـرـبـيـةـ وـهـذـهـ الـأـخـلـاقـ؟ـ.

^٦- أـخـرـجـهـ مـسـلـمـ، كـتـابـ الـبـرـ وـالـصـلـةـ وـالـآدـابـ، بـابـ اـسـتـحـبـابـ طـلاقـةـ الـوـجـهـ عـنـ الـلـقـاءـ، (٤/٢٠٢٦)ـ رقمـ: (٢٦٢٦).

^٧- أـخـرـجـهـ مـسـلـمـ، كـتـابـ الإـيمـانـ، بـابـ بـيـانـ أـنـهـ لـاـ يـدـخـلـ الـجـنـةـ إـلـاـ الـمـؤـمـنـونـ، وـأـنـ مـحـبـةـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـ الإـيمـانـ، وـأـنـ إـفـشـاءـ السـلـامـ سـبـبـ لـحـصـولـهـاـ، (١/٧٤)، رقمـ: (٥٤).

فأقول: النفس تحتاج إلى مجاهدة في كل شيء، ولن يسمو أحد إلا بالمجاهدة، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، كل شيء بالمجاهدة، جلوسكم هذا بالمجاهدة، لو لا المجاهدة ما جلستم، مجيئكم إلى المسجد بالمجاهدة، الوضوء بالمجاهدة، الصلاة بالمجاهدة.

لماذا الناس يذهبون إلى أعمالهم يعملون ثمان ساعات أو أكثر؟ لا شيء إلا المجاهدة والصبر والتحمل، سنوات طويلة، ينقضي العمر حتى يشيخ الإنسان وهو موظف، فهذا كلّه يحتاج إلى صبر.
أسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.